٣ ـ توحيد الأسماء والصفات

وهو أن يعتقد العبد اعتقاداً جازمًا أن ما أخبر الله به في كتابه، من أوصافه العليا وأسمائه الحسنى، وكذا ما جاءت به الأحاديث الصحيحة من أسمائه وصفاته، هي كما تليق بجلال الله وعظمته وكبريائه. فمن تلك الصفات:

صفة الحياة له ـ جل جلاله ـ، كما قال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة آل عمران: ٢).

وصفة العلم، كما قال تعالى: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥)، وقوله تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك: ١٤).

وصفة الإرادة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (سورة يس: ٨٢).

والقدرة، لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ (سورة الفتح: ٢١).

والسمع والبصر، لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (سورة النساء: ١٣٤).

والكلام، لقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١٦٤)، وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٣).

والرحمة، لقوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (سورة النمل: ٣٠).

وصفة الحب، لقوله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (سورة المائدة: ٥٤).

واليدين، لقوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ (سورة ص: ٧٥).

والوجه، لقوله: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (سورة الرحمن: ٢٧).

والاستواءُ على العرش، لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه:٥) في سبع آيات من القرآن.

والنزول، للحديث الصحيح: **«ينزل ربنا كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا، فينادي: هل من مستغفرٍ فأغفر له؟ هل من سائلٍ فاعطيه؟ هل من تائب فاتوب عليه؟»**[1].

إلى غير ذلك من الصفات التي لا نستطيع حصرها في عشرين صفة، وحصرها في عشرين من مبتدعات الخلف، بل ولا حصرها في أكثر من عشرين، وإنما الواجب الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله وأسمائه، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

والقول الشامل في هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، وبما وصفه به السابقون الأولون، لا يتجاوز القرآن والحديث.

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

فمذهب السلف حَقٌّ بين باطلين، بين باطل التمثيل وباطل التعطيل.

فالمشبه يعبد صنمًا، والمعطل يعبد عدمًا، والموحِّد يعبد إله الأرض والسماء[١]. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١).

فصدر الآية تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات، وردٌّ على المشبه. وآخر الآية إثبات صفتي السمع والبصر، في قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١). ورد على المعطلة.

فالسلف الصالح لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه. كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه.

فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات. فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين، فصفاته لا تشبه صفات المخلوقين.

---

(١) ورحم الله ابن القيم، حيث قال:

من شبه الله العظيم بخلقه ** فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن من أوصافه ** فهو الكفور وليس ذا إيمان

فإذا قلنا: لله علم وللمخلوقين علم، كما قال في كتابه المجيد: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنعام:١٠١)، وقال: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك:١٤).

وقال في حق المخلوق: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ (سورة الذاريات:٢٨).

وقال عن نبيه يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف:٥٥).

فلاشك أن ليس علم الله كعلم يوسف أو إسحاق عليهما السلام.

ووصف نفسه بالرأفة والرحمة. فقال: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة:١١٧).

وقال: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٤٣).

وقال في حق الرسول ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة:١٢٨).

فليست رحمة الله كرحمة المخلوق، ولا رأفته كرأفة المخلوق.

ووصف نفسه بالسمع والبصر، في غير ما آية من كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (سورة لقمان: ٢٨).

وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (سورة الشورى: ١١). وقال في حق المخلوق: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (سورة الإنسان: ٢).

ونحن لا نشك أن ما في القرآن حقٌّ. فللَّه سمع وبصر حقيقان لائقان بجلاله وكماله، كما أن للمخلوق سمعًا وبصرًا حقيقين مناسبين لحاله، من فقره وفنائه.

وبين سمع وبصر الخالق، وسمع وبصر المخلوق، كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق.

ووصف نفسه بالحياة، فقال: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة آل عمران: ٢). وقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (سورة غافر: ٦٥).

ووصف بعض المخلوقين بالحياة فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٠).

وقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (سورة مريم: ١٥). فليست حياة الخالق كحياة المخلوق.

وقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (سورة طه: ٥).

وقال في حق المخلوق: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ (سورة هود: ٤٤). فليس استواؤه كاستواء السفينة على الجودي.

والحاصل أننا لا نتعدى القرآن والحديث، ولا نؤول صفات الله الواردة في الوحيين بتأويلات الجهمية والمعتزلة القائلين: إن اليد بمعنى النعمة، والاستواء بمعنى الاستيلاء[1]، والوجه بمعنى الذات، والرحمة بمعنى التفضل، ونزوله بمعنى نزول أمره أو رحمته أو ملائكته.

---

(١) احتجوا على ذلك بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العرش ★★★ من غير سيف ودم مهراق

ـ والجواب: أن هذا البيت:

أولاً ـ مصنوع لا يحتج به. =

وما أشبه ذلك من التأويلات الفاسدة، النابغة من منابع الفلاسفة الضالين. تلك التأويلات الفاسدة التي تؤول بالإنسان إلى الكفر، وتجعل الشريعة ألعوبة بأيد المبطلين والهدامين، بحيث أنه لا يريد مبطل أن يهدم عقيدة أو حكمًا شرعيًا، إلا وقد أتى من باب التأويل. وكفى بهذا قبحًا وضلالاً.

وعلى اعتقاد ما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله بما أتى في القرآن والأحاديث الصحيحة من غير تمثيل ولا

= وثانيًا ـ إن قالوا: استيلاء الله كاستيلاء بشر على العراق، فهذا هو التشبيه بعينه.

وإن قالوا: استيلاء الله يخصه على ما يليق به، واستيلاء بشر كذلك، فهلا أبقوا اللفظ القرآني، وقالوا: استواءً يليق بجلاله ولا مفر لهم من أحد هذين الأمرين.

انظر: بحث الاستواء في «العلو» للذهبي، وفي «الجيوش الإسلامية» لابن القيم، وفي كتابي «العقائد السلفية». فقد أتيت في بحث الاستواء بما لا مزيد بعده، وفندت شبههم العقلية والنقلية. ـ والحمد لله على ذلك ـ.

تكيـيف ولا تعطيل، مـضى عـصـر الرسـول والصـحـابة والتابعين وتابعيهم من الأئمة المعتبرين، كالإمام أبي حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، والبخـاري، ومسلم، والتـرمذي، والنسـائي، وأبي داود، والثـوري، وابن عيـينة، وغيـرهم من المحدثين والفـقهـاء المعتبرين، والصوفية المحـقين، كالجنيد والجيلاني وأبي نُعَيم واللغويين المحققين، كالخليل بن أحمد، وثعلب وغيرهما.

وآخر دعـوانا أن الحمـد لله رب العالمين، نـسأل الله أن ينفـعنا وينفع إخـواننا المسلمين بهـذه الرسـالة، إنه سمـيع مجـيب الدعاء، وصلى الله على سـيدنا محـمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.